العدد ١٨ آب ٢٠٢٥
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
No. 18 – Ang 2025
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

المرأة الرمز والطبيعة في شعر حسان بن ثابت قبل الإسلام

المدرس الدكتورة إيناس عطوان سليمان
كليه الآداب/قسم اللغة العربية / جامعة الموصل

Woman as a symbol and nature in the poetry of Hassan ibn Thabit before Islam

Lecturer Dr. Enas Atwan Suleiman
College of Arts / Department of Arabic Language / University of

الملخص

يبدو شعر المرأة ضمن تجربة حسان الشعرية من أبرز الظواهر الموجودة في شعره وهي ظاهرة لأول مرة للعين غير المبصرة بوصفها محض جزء من تجربة شعرية هذه التجربة التي عاشها الشاعر وقام باستثمارها ضمن اطار ابداعه الشعري لكن الناظر إلى نصوص الشاعر يلاحظ ان الشاعر إهتم اول ما اهتم بالمرأة من خلال ذكره للطبيعة وعن طريق الرموز الشعرية التي تدل كلها على المرأة من خلال اختياره الرموز الشعرية التي تبدو في ظاهرها تدل على صورة الطبيعة ووصف جمالها إلا ان هذه الرموز ما هي إلا رموز خفية في باطنها يدل على المرأة وكيف وصفها الشاعر وهذا ما سنبينه في بحثنا هذا.

الكلمات المفتاحية: المرأة ـ الطبيعة ـ الرمز ـ حسان بن ثابت ـ الشعر ما قبل الإسلام.

Abstract

It seems that women's poetry in Hassan bin Thabit's poetic experience is one of the most prominent phenomena in his poetry, and it is apparent for the first time to the blind eye as a mere part of this poetic experience, this experience that the poet lived and invested within the framework of his poetic creativity, but the observer of the poet's texts notices that the poet was interested first and foremost in women through his mention of nature and through poetic symbols that all indicate women through his choice of poetic symbols that appear on the surface to indicate the image of nature and a description of its beauty, but these symbols are nothing but hidden symbols that indicate women and how the poet described them, and this is what we will show in this research.

Keywords: women, nature, symbol, Hassan ibn Thabit, pre-Islamic poetry

تبدو المرأة ضمن تجربة حسان الشعرية أول مرة للعين غير المبصرة أنها محض جزء من تجربة شعرية عاشها الشاعر فاستثمرها ضمن إطار إبداعه الشعري بيد أن المتفحص لنصوصه الشعرية يجد اختياره لها غير بعيد عن غاياته الفنية، ولعل أول ما تمنحه المرأة للشاعر حرية اختيار الاسم الرمزي لها، ومن ذلك قول حسان بن ثابت [i].

فـــإن تـــكُ ليلـــى قـــدْ نأتـــك ديارهـــا وضـــنّت بحاجـــاتِ الفـــؤادِ المتـــيَّمِ
وهَمَـتْ بصـرِم الحبـل مـن بعـدِ وصلـه وأصـــغْت لقـــولِ الكاشـــحِ المتـــزعِّم
فمـــا حَبْلُهـــا بـــالرَّثِّ عِنْـــدي ولا الـــذي يُغيـــرِّهُ نَـــأْيٌ وإن لَـــمَّ تَكَلَّـــمِ
ومـــا حبهـــا مـــا وكلتنـــي بوصـــلهِ وإن صَـــرّم الخُـــلّانُ بالمتجـــذم

فالشعر هنا يقوم على الحب الباقي في قلب الشاعر (الفؤاد المتيم) الذي يقابله تغير (ليلى) بالرحيل وبخلها بالوصال ثم تأتي المفارقة إذ تنوي ليلى هجر الشاعر بعد وصاله إصغاء لقول الكاشح، ثم يؤكد الشاعر ديمومة الحب الذي لا يتغير عنده، وتستقر العاطفة إذ يبقى الشاعر محبا مواصلا على الرغم من هجر الآخرين، وهكذا تتراكم المفارقات بين الرحيل وثبات الحب ثم الهجر بعد الوصال، ثم ثبات الحب متفردا بالوصل حيث هجر الآخرون.

إن هذا التذبذب بين الوصل والهجر ما هو إلا ذلك التذبذب في العلاقة بين الأوس والخزرج حرب فصلح وحرب فصلح ولكن الرغبة الداخلية للشاعر تبقى إلى جانب الصلح والسلام مع أبناء عمه من الأوس [ii].

افتتح حسان القصيدة السابقة بمقدمة طللية اتخذها منفذا رمزيا مهينا لتوفير المناخ النفسي الملائم للتجربة الشعرية من خلال انفتاح تفاصيله على المحور الموضوعي (الغرض الرئيسي) وذلك من خلال رموزه التي استمدها من الطبيعة ووضعها في هالة المرأة من وشم وأثافي ورماد ورياح وأمطار ونبات، والأطلال وغيرها من الرموز الطبيعية التي يبنها الشاعر في افتتاحيته أشبه بالأرضية الخام التي لا تشكل باعث تأثير بذاتها قدر ما تستمد قوتها التأثيرية من مدلولاتها الرمزية التي تهيء للغرض الرئيسي وترتبط معه [iii].

وقد أدحض الدكتور باسم إدريس في بحثه "ماهية أسماء النساء وشخصياتهن في شعر ما قبل الإسلام" وجود عبلة في حياة عنترة وأكد أنه وصف عري رمزي وليس إسمًا حقيقيًا معروفا لامرأة بعينها وأعطى على ذلك الدلائل والبراهين [iv].

فهو يذكر هذه الديار التي أضحت أطلالا ويتذكر الماضي الذي كان يجمعه مع الأهل والصحب ويصف حنينه وشوقه إلى تلك الأيام وما ذلك إلا تشوقه الرجوع علاقة المحبة والمودة بين الخزرج قبيلته وبين الأوس، فهم أهل وجيران مهما يكن من الفرقة والاختلاف يقول [v]..

لِمــن منــزلٌ عــافٍ كــأنَّ رُسُــومَهَ خياعِيــلُ رَيْــطٍ سَــابِرِيٍّ مُرسَّــمِ[vi]
خَــلَاءُ المبــادي مــا بــه غيــر رُكَّــدٍ ثَــلاثٍ كأمثــالِ الحمــائِمِ جُــثَّمِ[vii]
وغيــرَ شــجيجٍ ماثِــلٍ حــالف البِلــى وغيُــرُ بقايــا كالسَّــحيقِ المُنَمــنمِ[viii]
وقــد كــان ذا أهــلٍ جميــع بغبطــةٍ إذا الحَبْــل حبــل الوَصْــل لــم يتَصــرَّمِ
وان نحــنُ جيــرانٌ كثيــرٌ بغبطــةٍ وإذ مــا مضــى مــن عيشــنا لــم يُصَــرَّمِ

فكانت هذه الأبيات معادلا موضوعيا للحالة التي كان يعيشها حسان ومن رغبة الحقيقية في إنهاء هذا الكدر بينه وبين أولاد عمه من الأوس.

ومن الجدير بالذكر أن حسان بن ثابت في وصفه للطبيعة شديد الإحساس دقيق الشعور، كثيرا ما يتجاوب مع المشاهد فيقرن وقعها فيه بوقع المرأة الناعمة الحلوة في قلبه وفي عينيه.

فهو يشارك جمال الطبيعة بنظرته إليها عبر جمال المرأة فالمرأة حاضرة أبدا في ذهنه، ويقتنص حسان من الطبيعة كل ما يجذب ويثير نفوس متلقي شعره من طلل وحيوانات وخمر وغير ذلك، يقول[ix]:

مــا هــاج حسَّــانَ رُسُــوم المقــامْ ومظْعَــنُ الحــيِّ ومبنــى الخِيَــامْ
والنَّــوَيُ قــدْ هَــدَّمَ أعضَــادَهُ تقــادُمُ العَهْــدِ بــوادِ تَهــامْ
قــد أدْرَكَ الواشــونَ مــا حــاوَلوا فالحبــلُ مِــن شــعثاءَ رثُّ الزِّمَــامْ
جنيَّــةٌ أرَّقنِــيَ طيفُهــا يــذهبُ صُــبْحا ويُــرى فــي المَنــامْ
هــل هــي إلا ظبيْــةٌ معِــزلْ مألفُهــا السِّــدْرُ بنعفــيْ بَــرَامْ
تَرجــي غــزالاً فــاترا طَرْفُــهُ مُقَــارِبَ الخَطْــوِ ضَــعيفَ البَغــامْ

لا يخفى على القارئ لهذه الأبيات هذا الالتحام التلقائي بين المرأة والطبيعة وهذا الموقف الوجداني منها فقد تجول حسان بين أكناف الطبيعة واستمد منها كل ما هو جميل ليصف بها امرأته ونجد فيها تذوقاً لمحاسن هذه المرأة فهي جنية يأتي طيفها في المنام ويمتنع عنه في الحقيقة واستمد تصويره لهذه المرأة من الطبيعة الحية المتحركة فقال عنها بأنها ظبية مالفها السدر تسوق غزالا ذا صوت رخيم متقارب الخطوات.

لاشك أن حسان في هذه الأبيات كان صادق العاطفة وصادقا في التعبير والوصف، وصادقا أيضاً في ارتباطه بالطبيعة التي عاش فيها ذلك بأن الصدق الشعوري موفور فيها لأنها قبلت تسرية عن النفس وتعبيرا عن المشاعر وتصويرا للعواطف، ولم يكن تزلفا لكبير أو مرضاة لأمير أو مجلبة للمال، فهو إذن فن خالص يصدر عن الشاعر كما يصدر الضوء عن الشمس، وكما يفوح الشذى من الزهر وقد كان صادقا في تجاوبه مع الطبيعة وما فيها من حيوان ونبات وجماد، لأنه أحس بجمالها وتخير من صفات هذه الطبيعة كل الصفات التي تمت إلى الحبيبة بصلة ولو أن عنده أجمل مما شبه به لألحقها بها أيضاً [x].

يقول الجاحظ في هذا المعنى: "وقد علم الشاعر وعرف الواصف أن الجارية الفائقة الحسن أحسن من الظبية، وأحسن من البقرة، وأحسن من كل شيء، ولكنهم إذا أرادوا القول شبهوها بأحسن ما يجدون فيقول بعضهم كأنها القمر، وكأنها الشمس، والشمس وان كانت بهية فإنما هي شيء واحد، وفي وجه الجارية الحسناء وخلقها ضروب من الحسن الغريب والتركيب العجيب ومن يشك أن عين المرأة الحسناء أحسن من عين البقرة، وأن جيدها أحسن من جيد الطبية"[xi]، واستمر حسان بعد ذلك في وصف فم المرأة وريقها، حيث قال [xii]:

كـــأنَّ فاهـــا ثغـــبٌ بـــاردٌ	فـــي رَصَـــفٍ تحـــتَ ظِـــلالِ الغَمَـــامْ
شُـــجَّ بصـــهباء لهـــا سَـــورَة	مِـــنْ بَـــينِ رَأْسٍ عُتِّقَـــتْ فِـــي الخيـــام
عَتَّقَهـــا الحـــانُوتُ دَهْـــرًا فقـــدْ	مَـــرَّ عليْهـــا فَـــرْطُ عـــامٍ فعَـــامْ
تَـــدِبُّ فـــي الجِسْـــمِ دَبيبـــاً كمـــا	دبَّ دَبِّـــي وَسْـــطَ رَقَـــاقِ هَيَـــامْ
مـــن خَمْـــرِ بيســـان يغـــالي بهـــا	درياقـــةً تُسْـــرِعُ فَتْـــرَ العِظَـــامْ

فحسان يشبه طعم ثغرها بما يسيل من المياه من جبل متراصف الحجارة نفي عذب مزج بخمرة حمراء معتقة عتقها صاحبها دهرا طويلا كي يربح منها ربحا وفيرا تدب في جسم شاربها كما يدب النمل في أرض رملية لينة مستوية قد استوردها تاجرها من بيسان غالية الثمن تشفي العليل، وتسرع بأثرها حتى تصل نشوتها إلى عظام شاربها فتصيبها بالفتور.

فكان مبدعا في وصف الخمر وبيان أثرها في الأجسام وفي النفوس، ذلك لأنه على ما يبدو كان من صفوة عشاقها، ولأنه شهد من مجالسها الحافلة بأرض الشام ما خلدت في نفسه صورتها، وما ظلت تتردد بين جنبيه أصداؤها [xiii].

ولم ينس حسان أن يصف ساقي هذه الخمرة فلابد أن يكون ملائما لهذا الوصف الذي وصفه للخمرة وأثرها في جسم شاربها فهو ساق أعجمي ذو برنس مشدود الحرام نشيط سريع الإستجابة لداعيه قد طيب ما خلف اذنيه [xiv].

يســـعى بهـــا أحْمـــرُ ذو بُـــرْنُسٍ مَختلـــفَ الـــذِفْري شَـــديدُ الحـــزامْ
أرْوَعُ للـــــــدعوةِ مُســـــــتعجِلُ لـــم يثنِـــهِ الشَّـــأنُ خَفِيـــفُ القيـــامْ

وأنتقل بعد ذلك إلى ناقته التي وصفها بالفخامة والقوة والنشاط والتدفق في سيرها ويكاد الشعراء الجاهليون لا يتصدون للوصف في القصيدة حتى يتحدثوا عن الناقة لما لها من ارتباط حميم بحياتهم.

إلا أنهم عرضوا لها في الغالب كمن يراها أو يراقبها من الخارج ، مقابلين بينها وبين أغراض شتى مما وقعت عليه حواسهم في الحيوانات أو المظاهر الطبيعية الأخرى ، وأنشأوا لها شبه معادلة تجتمع بعضا إلى بعض حتى تستقيم في ذهننا صورة شاملة متكاملة للناقة لا يغيب عنا عضو من أعضائها أو حركة من حركاتها [xv].

دَعْ ذِكرهـــا وأنـــمِ إلـــى جَسْـــرةٍ جُلْدَيَـــــةٍ ذاتِ مـــــرَاح عَقّـــــامْ
دِفِقَّـــــةِ المشـــــيةِ ديَّافـــــةٍ تَهـــوي خُنوفـــا فِـــي فُضُـــول الزَّمَـــامْ
تحســـــبها مجنونـــــة تغتلـــــي إذا لفـــــع الال رؤوس الآكـــــام

فجمع حسان في هذه القصيدة الثالوث الأشهر من ذكر الأطلال والحبيبة إلى ذكر الناقة، واستطاع أن يجمع بينهم بحسن انتقاء لألفاظها وبحسن ملاءمته بينها مع جمال أسلوبها وروعة ما فيها من معنى ومن تشبيه.

أشتهر حسان في جاهليته بالنقائض التي كانت بينه وبين شاعر الأوس قيس بن الخطيم ولاسيما في أيام الحروب والمنازعات فقال قيس يوم بعاث [xvi].

ردَّ الخلـــيط الجمـــالَ فأنصـــرفوا مـــاذا علـــيهم لـــو أنهـــم وقفـــوا
لـــو وقفـــوا ســـاعةً نســـائلهم ريـــث يصـــخي جمالَـــه الســـلفُ
فـــيهم لعـــوب العشـــاء أنســـة الـــدلِ عـــروبَ يســـوءها الخلـــفُ

فأجابه حسان على نفس الوزن والقافية [xvii].

مـــا بـــال عَينـــي دمُوعهـــا تَكِـــفُ مِـــن ذِكْـــرِ خَـــوْدٍ شَـــطَتْ بِهَـــا قَـــذَفُ
بانـــت بهـــا غَرْبَـــةٌ تـــؤُمُّ بهـــا أرْضـــاً سِـــوانا والشَّـــكل مُخْتَلِـــفُ

مـــا كُنْـــتَ أدرِي بوشـــكِ بيـــنِهِمُ حتَّـــى رأيْـــتُ الحُـــدُوجِ قـــدْ عَرَفـــوا
فغـــادرَوني والـــنَّفْسُ غالِبُهـــا مـــا شـــفَّها والهمـــوُم تعتكِـــفُ

فعبر حسان هنا عن الحزن الذي ملأه جراء هزيمة الخزرج قومه في ذلك اليوم فالمتتبع القصيدة قيس يجد أنه أطال الغزل فاستغرق منه ثمانية عشر بينا، بينما لم يستغرق الغزل عند حسان سوى أربعة أبيات، ولكن ما يشفع لحسان هنا هو أنه بموقف المدافع عن قومه عن ما أصابهم من هزيمة.

فذكر بكاءه الفراق صاحبته التي حملها البعد إلى أرض غير أرضه، وما كان يدري بقرب فراقها حتى رأى مراكبها تأخذ في الرحيل، وأضحت الهموم عاكفة عليه من جراء هذا الرحيل.

فالمرأة هنا جاءت رمزا لهذه الهزيمة التي قطعت الأرحام بين أبناء العم من الأوس والخزرج حتى لم يعد للوصل والصلح مكان لفرط القسوة التي مارسها الأوس على أبناء عمومتهم فصاروا كالغرباء بعد الأرحام والتواصل (بانت بها غربة) وهذا الشقاق وهذا البعد وهذه الغربة كلها كانت مدعاة للبكاء والهموم والأحزان في نفس الحليم الذي ينشد وصل أبناء عمومته ويملأ حبهم قلبه.

وتبقى في دائرة النقائض بين حسان وقيس، قال صاحب الاغاني: "مر حسان بن ثابت بليلى بنت الخطيم - وقيس بن الخطيم أخوها بمكة حين خرجوا يطلبون الحلف في قريش - فقال لها حسان: اظعني فالحقي بالحي فقد ظعنوا وليت شعري ما خلفك وما شانك؟ اقل ناصرك؟ أم رات رافدك؟ فلم تكلمه وشتمته نساؤها فذكرها في شعره في يوم الربيع [xviii] الذي يقول فيه"[xix].

لقـــد هـــاج نفســـك أشـــجانها وعاودهـــا اليـــوم أديانهـــا
تـــذكرت ليلـــى وأنـــى لهـــا إذا قطعـــت منـــك أقرانهـــا
وحجـــل فـــي الـــدار غربانهـــا وخـــف مـــن الـــدار ســـكانها
وغيرهـــا معصـــرات الريـــاح وســـح الجنـــوب وتهتانهـــا
مهـــاة مـــن العـــين تمشـــي بهـــا وتتبعهـــا ثـــم غزلانهـــا
وقفـــت عليهـــا فســـالتها وقـــد ظعـــن الحـــي مـــا شـــانها
فعيـــت وجـــاوبني دونهـــا بمـــا راع قلبـــي أعوانهـــا

وقد رد عليه قيس بن الخطيم ناقضا عليه فخره مقدما لهذا الفخر بذكر عمرة بنت صامت بن خالد الأوسية زوج حسان بن ثابت بقوله [xx]:

أجـــــد بعمـــــرة غنيانهـــــا أتهجـــــر أم شـــــاننا شـــــانها

نستطيع القول هنا أن هذا الغزل الذي افتتح حسان به قصيدته هو غزل كيدي، ليس فيه حب صادق عرف عند سكان المدن في الجاهلية، وقل أن يوجد لدى أبناء القبائل إذ أن طبائعهم لا تتحمله، وشأن هذا الغزل شأن الغزل الجاهلي بصفة عامة، وهو غزل عفيف لا ابتذال ولا إسفاف فيه[xxi].

حين نترك العصر الجاهلي إلى عصر صدر الإسلام فإننا ننتقل بذلك مع هذا الشعر إلى مرحلة جديدة في حياته وهي مرحلة جرت فيها ظروف مختلفة دينية وسياسية وحضارية كانت لها آثارها الواضحة على قضايا هذا الشعر بصفة عامة ولاسيما شعر حسان فظهور الإسلام كان بمثابة تغير واسع وعميق في الحياة العربية بصفة عامة والثقافية بصفة خاصة والشعر بوصفه عنصرا من عناصر الحياة الأدبية عند العرب.

لقد بدا أثر الإسلام جليا وخفيا في الشعر ولاسيما في شعر المخضرمين ومنهم حسان بن ثابت إذ كان الشاعر عميق الصلة بالمرأة لاسيما الحبيبة والزوجة وما ذكرها الشاعر إلا وجعلها في كوكبة من عناصر الطبيعة ورموزها على نحو ما فعل عبدة بن الطبيب في ذكر زوجته خولة في مقدمة قصيدته إذ قال [xxii]:

هـل حبـلُ خولـةَ بعـد الهجـر موصـول أم أنـت عنهـا بعيـد الـدار مشـغولُ
حلـــت خويلـــة فـــي دارٍ مجـــاورةٍ أهـــل المـــدائن فيهـــا الـــديك والفيـــلُ
يقـــارعون رؤوس العجـــم ضـــاحية مـــنهم فـــوارسُ لا غُـــزلُ ولأميـــلُ
فخـــار القلـــب مـــن ترجيـــع ذكرتهـــا رسٌّ لطيـــف ورهـــن منـــك مكبـــولُ
رس كـــرسَّ أخـــي الحمـــى إذا غبـــرت يومـــاً تأوبـــهُ منهـــا عقابيـــلُ
وللأحبـــــةِ أيـــــام تـــــذكرها وللنـــوى قبـــل يـــوم البـــين تأويـــلُ
إن التـــي ضـــربت بيتـــاً مهـــاجرةً بكوفـــة الجنـــد غالـــت ودهـــا غـــولُ
فعـــدَّ عنهـــا ولا تشـــغلك عـــن عمـــل إن الصـــبابة بعـــد الشـــيب تضـــليلُ
بحســـرةٍ كعـــلاة القـــين دوســـرةٍ فيهـــا علـــى الايـــن إرقـــال وتبغيـــلُ

مشيعاً جواً مشحوناً بالعواطف المليئة بالشوق والذكريات الجميلة لأيام الفتح وأيام خولة التي ذكر إزاءها الديك رمزاً لأرض العجم والفيل رمزاً لجيش الفرس الذي إندحر أمام الفتح الإسلامي فعاد الديك والدجاج في أواخر القصيدة من غير الفيل فهم عزل من السلاح [xxiii].

إذا شـرف الـديك يـدعو بعـض أسـرته لـدى الصـباح وهـم قـوم معازيـل[xxiv]

فكان اعتناق حسان الإسلام إيذانا بتحول خطير الشأن في اتجاهه الشعري ولم يكن يدور بخلد هذا الشيخ وهو يدلف متعبا مكدودا نحو الستين إن يد القدر قد أعدت له مصيرا لم يكن يتوقعه وإنه يستقبل عهدا جديدا حفل بمجابهة الخصوم ومقارعة الشعراء من أيامه في الجاهلية يوم كان الشباب والقوة ملء برديه. وإن حياته الشعرية التي ستخلد ذكراه تبدأ من اليوم وإن موهبته ستزداد تدفقا وخصبا وإنه سيقول من الشعر بعد هذه السن إضعاف ما قاله أيام شبابه وطراوة عوده.

وأثر الإسلام واضح في شعره سواء كان ذلك من حيث اللفظ أم المعنى بصورة لا تقل عما هو في شعر معاصريه من الشعراء أمثال كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة [xxv].

وقد رسم حسان في شعره صورة رائعة للرسول عليه أفضل الصلاة والسلام وقد التقى عندها جمال الخلق والخلقة فهو لم يرى أجمل منه على الإطلاق ولم تلد النساء من يدانيه في جماله وهو مبرأ من كل عيب كامل دونما نقص وكأنما عليه الصلاة والسلام خلق على الصورة التي ارتضاها لنفسه، والكمال الذي شاءه لذاته فهو الكمال المجسم والخلق المصفى.

حيث قال [xxvi].

وأحسن منك لم ترَ قطُّ عيني وأجملُ منكَ لمْ تلِدِ النساءُ
خُلقتَ مُبرءاً مِن كل عيب كأنك قد خُلقتَ كما تشاءُ

وأما فيما يخص التصور الإسلامي للمرأة والطبيعة فقد أوضحنا ذلك بصورة وافية فيما سبق، وإذا كان لابد من الإضافة فلا باس أن تذكر تأثير المرأة والطبيعة على شعر حسان الإسلامي فمن حيث المرأة فقد كان حسان غزل الطبع رقيق التشبيب.

وقد قل شعره الإسلامي في الغزل ولم يكن هناك فارق بينه وبين غزله الجاهلي وإن أعرض في غزله الإسلامي عن ذكر المشاهد الغسانية.

ومما يذكر له أيضاً أن شعره في تلك المرحلة كان غزير المعاني خصيب الخيال وقد يكون اهتمامه بالغوص وراء المعاني الجميلة أكثر من اهتمامه بتغيير اللفظ الرائق وإجادة التأليف وحلاوة النعم والإيقاع الموسيقى ولاسيما بعد الإسلام وذلك أمر مألوف في عصور التطور والانتقال وأزمان النهضات، إذ يكون الشغل الشاغل للشعراء والأدباء والمفكرين بيان الأفكار الجديدة، والكشف عن المعاني والآراء المستحدثة وكثير منها مبتدع مبتكر ومنها ما يرجع إلى البداوة ومنها ما أنتجته الحضارة وكان حسان أيضاً يعتمد على براعة خلقه للصور الفنية الخيالية مستعيناً على إبداع هذه الصور وإظهار معالمها بالأدوات المختلفة من

تشبيه واستعارة وكناية وتمثيل تارات أخرى ، وقد أمده اتساع أفق خياله بما ضمن له أن يحلق في سماء هذا الفن، كما طوعت له رحلاته وتأثره بمخالطة الملوك وارتياده بلاد الشام أن يأتي فيه بالجديد.

ونستشهد بذلك قوله في التهديد يوم فتح مكة إذ يدعو على التبجل دعاءاً يؤول قسماً [xxvii]:

عَـــدِمْنَا خَيلنـــا إنْ لـــم تروْهـــا تثيـــرُ النقْـــعَ موعِـــدُها كَـــدَاءُ
يُبـــارين الأعِنَّـــةَ مُصـــغياتٍ علـــى أَكْتَافِهَـــا الأَسَـــلُ الظِّمَـــاءُ
تَظَـــلُّ جِيادُنـــا متُمَطَّـــرَاتٍ تُلَطِّمُهُـــنَّ بـــالخُمُرِ النِّســـاء
فَإِمَّـــا تُعرِضُـــوا عنَـــا اعتَمَرْنـــا وكـــان الفـــتحُ وانكَشَـــفَ الغِطـــاءُ
وإلَّا فاصـــبِروا لِجـــلادِ يَـــوْمٍ يُعـــينَ اللهُ فِيـــهِ مَـــنْ يَشـــاءُ

وقوله في الليلة الظلماء [xxviii]:

وتحـــول دون الكـــف ظلمتهـــا حتـــى تشـــقُ علـــى الـــذي يســـري

وأيضاً وصفه لقاء جيش بين المسلمين والمشركين ببدر [xxix]:

غـــداة كـــأن جمعهـــم حـــراء بـــدت أركانـــه جـــنح الغـــروب
فلاقينـــاهم منـــا بجمـــع كأســـد الغـــاب مـــن مـــرد وشـــيب

والشاعر العربي على اختلاف عصوره يعد الطبيعة ملهمة الشاعر التي لاتكل ولا تمل ولا تبخل يوما من الأيام فهو يجد عندها الغوث كلما اشتد به الأمر ونفر عنه الإلهام فلا غنى للشعر والشاعر عنهما مهما اعترف من ينابيعها واستنار بأنوارها.

وهذا مالم يتغير في الإسلام فموقف المسلم من الطبيعة ومظاهرها موقف ايجابي يقوم على الحب والتعاون والإفادة من كل ما تزخر به ولقد صور شعراء صدر الإسلام ومن ضمنهم حسان مشاهد للطبيعة انعكس التصور الإسلامي في كثير منها لسمو الهدف من رسمها والسبيل الذي اتخذه لها ليوصله بذلك إلى سلامة في التفكير وصدق في القول وبعد عن المعاضلة ولعل اقترانه بعناصر الطبيعة مع إيمانه بموقف الإسلام منها وتعاطفه معها وحبه إياها كان وراء تلك الصور الناصعة التي رسمها لها [xxx]، فالطبيعة والكون كله من خلق الله والإنسان كذلك فهما صنوان في الخلق والتسبيح الله ﷻ كم كى كي لم لى لي

مامم نرنزنم نن نى ني ىٰ ير يزيم ين يى يي ئج ئحَّ [xxxi]، والفارق بينهما إنها مسخرة للإنسان وإنه سيد فيها .

الهوامش

(١)ديوانه: ١٨٢.

(٢)شعر الغزل السياسي قبل الإسلام الى عصر بني امية: د. علي كمال الدين الفهادي: بحث آداب الرافدين، ١٩٨٩: ٣٨.

(٣)دراسات في الشعر العربي القديم: د. بهجت عبد الغفور الحديثي: ٥١-٥٢.

(٤)ماهية أسماء النساء وشخصياتهن في شعر ما قبل الإسلام، د. باسم ادريس، مجلة التربية والعلم، مج ١١، ع ٤، ٢٠٠٤.

(٥)ديوانه: ١٨١-١٨٢.

(٦)خياعيل: جمع خيعل: وهو ثوب غير مخيط الفرجين يكون من الجلود والثياب ودرع يخاط أحد شقيه تلبسه المرأة كالقميص.

(٧)المبادي: الظواهر.

(٨)الشجيج: الوتد، السحيق: الثوب الخلق الذي انسحق وبلى.

(٩)ديوانه: ١٨٤.

(١٠) الغزل في العصر الجاهلي: ٣٦٤.

(١١) رسالة العشق والنساء والشاعر من مجموعة رسائل للجاحظ: ١١٨.

(١٢) ديوانه: ١٨٥-١٨٦.

(١٣) ينظر: حسان بن ثابت: ٢٨٥.

(١٤) ديوانه: ١٨٦.

(١٥) المصدر نفسه: ١٨٦.

(١٦) ديوانه: ٥٣ ويوم بعاث: يوم للاوس والخزرج انتصرت فيه الأوس، وتبعوا الخزرج يحرقون عليهم نخلهم ودورهم.

(١٧) ديوانه: ٣١٦-٣١٧.

(١٨) شرح ديوان حسان بن ثابت: ٥٤.

(١٩) شرح ديوانه: ٥٤.

(٢٠) ديوانه: ٧.

(٢١) المرأة في الشعر الجاهلي: ٢٤٣.

(٢٢) شعر عبدة بن الطبيب: د. يحيى الجبوري: ٥٦-٥٩.

(٢٣) شعر عبدة بن الطبيب: ٥٩.

(٢٤) المعازيل: العزل من السلاح، وينظر: الخفاء والتجلي في لامية عبدة بن الطيب، د. علي الفهادي، مجلة آداب الرافدين: ٧، ٨، ١٨.

(٢٥) ينظر: دراسات في الأدب الإسلامي: ٢٨١.

(٢٦) ديوانه: ٣٧١.

(٢٧) ديوانه: ٧١-٧٢.

(٢٨) ديوانه: ١٨٨.

(٢٩) ديوانه: ١٣٥.

(٣٠) ينظر: الطبيعة في شعر صدر الإسلام، د. عبدالله فتحي الظاهر، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، كلية الآداب، ١٩٩٦: ١٠.

(٣١) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

المصادر والمراجع

١- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري: تحقيق: د. سيد حنفي حسنين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤.

٢- شعر الغزل السياسي قبل الإسلام الى عصر بني امية: د. علي كمال الدين الفهادي: بحث آداب الرافدين، ١٩٨٩.

٣- دراسات في الشعر العربي القديم: د. بهجت عبد الغفور الحديثي، مطابع التعليم العالي، بغداد، ١٩٩٠.

٤- ماهية أسماء النساء وشخصياتهن في شعر ما قبل الإسلام، د. باسم ادريس قاسم، مجلة التربية والعلم، مج ١١، ع ٤، ٢٠٠٤.

٥- الغزل في العصر الجاهلي: د. أحمد محمد الحوفي، دار القلم، بيروت، (ب. ت).
٦- رسالة العشق والنساء والشاعر من مجموعة رسائل للجاحظ، مطبعة ساسي.
٧- حسان بن ثابت: د. محمد طاهر درويش، دار المعارف، القاهرة، (ب. ت).
٨- شرح ديوان حسان بن ثابت: ضبطه وصححه عبد الرحمن البرقوقي، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٠.
٩- المرأة في الشعر الجاهلي: د. علي الهاشمي، ساعدت وزارة المعارف على نشره، بغداد، ١٩٦٠.
١٠- شعر عبدة بن الطبيب: د. يحيى الجبوري، دار التربية للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٧١.
١١- الخفاء والتجلي في لامية عبدة بن الطيب، د. علي الفهادي، مجلة آداب الرافدين.
١٢- دراسات في الأدب الإسلامي: د. سامي مكي العاني، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ١٩٧٥.
١٣- الطبيعة في شعر صدر الإسلام، د. عبدالله فتحي الظاهر، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، كلية الآداب، ١٩٩٦.